سوسيولوجيا الرواية النسوية / دراسة مقارنة بين روايتين مختارتين: عراقية وأميركية

م.د. أسماء يوسف ديان

جامعة الشطرة، كلية التربية للبنات- قسم اللغة العربية

asmaa.yousif@shu.edu.iq

الملخص:

تحاول الدراسة التوغل في تيمة اجتماعية وهي (الجنسانية) بوصفها تيمة ملازمة للجنس (ذكر/أنثى)، تتوغل العمل الأدبي أي من ناحية توظيفها توظيفا إبداعيا في الكتابة السردية النسوية على وجه الخصوص وليس من ناحية توظيفها التوظيف الإبداعي المشترك بين الرجل والمرأة، وذلك بتوظيف الجنس أو الجنسانية إبداعيا في الكتابة النسوية والوصول إلى نوعية مكوناتها ومقارنتها ببعضها من كلا الأدبين العراقي والأميركي عن طريق تأمله وملاحظة النزعات التي تسم الهوية الخاصة له والنابعة بكل تأكيد من الظروف الاجتماعية والبيئية والخارجية المحيطة، وهذا التوغل البحثي في دراستنا تم عن طريق تطبيق هذه التيمة في الأدب الروائي.

الكلمات المفتاحية: (الجنسانية، الكتابة النسوية، الأنثوية، المجتمع، المقارنة).

"Sociology of the feminist novel/ A comparative study between two selected Iraqi and American novels"

Instructor.Dr.Asma Yosif Dayan

University of Shatra/ College of Education for Girls/ the department of Arabic language.

Abstract:

The study attempts to delve into a social theme, which is (sexuality) as a theme inherent to gender (male/female). It penetrates into the literary work, that is, from the aspect of employing it creatively in feminist narrative writing in particular, and not from the aspect of employing it in the creative employment shared between men and women, by employing gender. Or sexuality creatively in feminist writing and accessing the quality of its components and comparing them to each other from both Iraqi and

American literature through contemplation and observation of the tendencies that characterize his own identity and which certainly stem from the surrounding social, environmental and external circumstances. This research incursion into our study was made by applying this theme in literature. novelist.

Keywords: (sexuality, feminist writing, femininity, society, comparison).

التمـــهيـــد:

يمكن توضيح مصطلح الجنسانية بحسب فيلسوفها ميشال فوكو في كتابه (تاريخ الجنسانية) الذي يقع في ثلاثة أجزاء ، إذ أعطى فوكو نظرة مختلفة عن الجنس وذلك بربط فهمه لدى الأفراد بالجانب الاجتماعي وما يفرزه من خطابات، أي أن محددات الخطاب هي التي تحدد ماهية الجنس لدى الأفراد فيبدؤون بالتصرف على أساسها كذكور أو كإناث ((فحول الجنس، لم تنقطع الخطابات- خطابات مميزة، مختلفة في آن واحد في شكلها وموضوعها، عن التكاثر: غليان خطابي ازداد تسارعه منذ القرن الثامن عشر... هو تكاثر وتعدد الخطابات حول الجنس... حث مؤسساتي للكلام عنه)) [١]، وركز على هذه الخطابات التقعيدية مبتدئا من عصر اليونان [٢]، مما ينتج ((طريقة جديدة لانعكاس الذات على نفسها في علاقتها بالمرأة وبالآخرين، بالأحداث والأنشطة المدنية والسياسية)) [٣].

عبر ما تقدم من تمهيد بسيط لفهم الجنسانية عند مؤسسها فوكو يمكن القول أن مصطلح الجنسانية هو مفهوم حديث نسبيا من مفاهيم العلوم الاجتماعية، وهو لا يشير إلى الذكر والأنثى، بل إلى المذكر والمؤنث_ أي الخصائص والسمات التي ينسبها المجتمع إلى كل من الجنسين[٤]: ((فهـم الطريقة التي يجري فيها تعلم الأدوار المتوقعة من الجنسين من خلال العوامل الاجتماعية الفاعلة مثل العائلة ووسائل الإعلام... فالطفل الرضيع يولد حاملا العنصر الأول، ولكنه يتعلم الثاني. فمن خلال اتصاله بالعوامل الفاعلة في عملية التنشئة بنوعيها الأولي والثانـوي، يلقن الطفل بصورة تدريجية المعايير والتوقعـــات التي تطابق جنسه سواء أكان ذكرا أم أنثى)) [٥]، ((وهي لأي فرد كانت تجمع

بين الجنس، والهوية النوع_ اجتماعية والدور والتوجه الجنسي والإروتيسية أو الإثارة الجنسية والمتعة والحميمية والانجاب. ويعبر عنها في أفكار وخيالات ورغبات ومعتـقدات ومواقـف وقيم وتصرفات وممارسات وأدوار وعلاقات[٦]، أي أنها تتأثر بمجموعة من العوامل الثقافية والدينية والاجتماعية والنفسية وما يشابهها [٧].

أما ما يخص هذه التيمة في الكتابة النسوية فقد توجهت ((إلى ما أسمته "إيلين شوالتر" بالنقد " الجينثوي": أي النقد الذي يعني على وجه التحديد بإنتاج النساء من كافة الوجوه: الحوافز النفسية السيكولوجية والتحليل والتأويل والأشكال الأدبية)) [٨] ، مع التشديد على ما ((يؤكد ارتباط الأديب بالعلاقات الاجتماعية والظواهر الاجتماعية السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه)) [٩] الأمر الذي يسهم ببلورة المفهوم الاجتماعي بحسب البيئة المحيطة بالإبداع أو أن يكون ذا إحالات لهذه البيئة المجتمعية.

إن التوغل البحثي في دراستنا للجنسانية من الناحية الإجرائية تم عن طريق تطبيق هذه التيمة في الأدب الروائي:

-رواية (النبيذة) للكاتبة العراقية: إنعام كجه جي.

- رواية (الماضي مرة أخرى-في بعض الأحيان الحياة توفر لنا فرصة أخرى Before and Again- Sometimes life delivers a second chance...) للكاتبة الأميركية (Barbara Delinsky).

وتم اختيار العينتين على وفق المدة الزمنية – النشر والإصدار- التي تتحدث عنها، بصورة متقاربة زمنيا لتبيان المسارات السردية من جوانبها التأويلية المتماشية مع طبيعة تيمة (الجنسانية)، و على وفق منهج المدرسة الأميركية في الأدب المقارن التي تمزج بين دراسة الأدب والعلوم الإنسانية الأخرى ولا تشترط التأثير والتأثر بين العينات المبحوثة.

وقد تم رصد الفروقات في الجنسانية وتوظيفها مقسمة إلى ثلاثة محاور في الروايتين، وهي:

١/ التوظيف الصريح.

٢/ التوظيف غير الصريح.

٣/ التوظيف ذو الطابع المتصل بالأديان.

ويمكن البدء في رواية (Before and Again) التي تتلخص أحداثها بعمل حادث سيارة قامت به بطلة الرواية (ماكنزي) أثناء قيادتها لسيارتها وانشغالها بهاتفها قليلا مما أودى بحياة ابنتها، ومن أثر الصدمة وتأنيب ضميرها لها قررت أن تبتعد وتترك زوجها و جميع أصدقائها وأهلها وتبدأ حياة جديدة في مكان آخر، وهذا ما حصل بالفعل إلى أن لاحقها الماضي مرة أخرى مثبتا أن الحياة تستحق فرصة أخرى.

وقبل البدء بالمحاور الثلاثة يمكن تقديم فكرة تطبيقية عن جنسانية الروايتين لتوضيح محاورها فيما بعد. نلمح الجنسانية الخاصة بمجتمع الكاتبة في هذا النص المقتطع الذي تتحدث فيه البطلة (ماكنزي) عن صديقتها (جرايس) واختلافها عنها بالطباع:

((I feared that she would. Grace liked men. They were her escape. I had always suspected she equated passion with adoration, and, confirming it to me once, she was unapologetic. She adored adoration. All her life she had strugghed to find it, finally settling for little doses here and there))[10]

(كنت أخشى أ تفعل ذلك، جرايس تحب الرجال، لقد كانوا هم هروبها، لطالما كنت أشك في أنها تساوي بين العاطفة والعشق، وقد أكدت لي ذلك مرة، ولم تكن تبدي ندما، كانت تعشق العشق وكافحت طوال حياتها للعثور عليه، ولكنها استقرت أخيرا على جرعات صغيرة هنا وهناك).

وفي نص آخر على لسان (جرايس) نفسها تتكلم عن ولدها بسبب الحكم عليه بالسجن لجريمة سطو إلكترونية:

((Disaster. My son has an identity crisis and screws the whole thing up? Suddenly he is judging me?

-not judging___

- Yes, judging. He thinks I sleep around too much, like I go from one man to the next, and they all look the same. He thinks I am screwed up, so it is okay for him to be screwed up, like he can fool

with computers and play at being someone else. And I ll never know, because I am not smart enough or I am too busy chasing men or working so I can send him to Montreal with the hockey team or buy him the high-tops he wants or fill a prescription for the zit cream that is not coverd by my insurance, but he was the one who complained that he did not have a girlfriend because of acne. He thinks I kept him from the one man he was not to know, and who in the hell was I to do that?

-Has he actually told you these things?

-No, but he is thinking them, I know he is.)) [١١]

(كارثة، ولدي يعاني من أزمة هوية ويفشل كل شي؟

ثم قالت فجأة: هو يحكم علي؟

قلت لها: لا يحكم.

قالت: نعم، إنه يحكم، يظن أنني أعاشر كثيرا من الرجال، كما لو كنت أتنقل من رجل لآخر، وجميعهم يبدون متشابهين. إنه يظن أنني فاسدة؛ لذلك لا بأس أن يكون هو فاسدا كذلك، كما لو أن ذلك يتم عبر خداعه للآخرين

عن طريق أجهزة الكومبيوتر، فيلعب دور شخص آخر، ولن أعرف أبدا؛ لأنني لست ذكية بما يكفي أو لأنني مشغولة جدا بمطاردة الرجال أو العمل لأتمكن من إرساله إلى مونتريال مع فريق الهوكي أو شراء القمصان الغالية التي يريدها أو ملء وصفة طبية له من كريم (Zit) الذي لا يغطيه التأمين الخاص بي، لكنه كان هو الذي اشتكى من عدم وجود صديقة له بسبب حب الشباب. إنه يظن أنني منعته من الرجل الوحيد الذي يريد أن يعرفه {والده}، ولماذا كنت سأفعل ذلك بحق الجحيم؟

قلت لها: هل أخبرك فعلا بهذه الأمور؟

قالت: لا، لكنه يفكر فيها، وأنا أعلم أنه كذلك).

تقدم الكتابة النسوية هنا في هذين النصين نسقا مجتمعا من الأفكار المترابطة حول توليد جنسانية موحدة بتيمتها بين الشخصيات الثلاث: (ماكنزي/ جرايس/ ولد جرايس)، فالشخصية النسوية الأولى (ماكنزي) تعبر عن وجهة نظرها الجنسانية في إبداء رأيها في الشخصية النسوية الأخرى (جرايس)، أما (جرايس) نفسها فتعكس وجهة نظر ولدها بها، وقد استنتجتها لذاتها بصورة أثيرة تدل على أن التيمة الجنسانية نفسها مهيمنة في ذاتها لا إراديا بغض النظر عن كونها خاطئة أم غير خاطئة وهي مهيمنة على المجتمع في غالبيته على الرغم من انفتاحه، وذلك يجعلنا نستنتج أن الكتابة النسوية حاولت عبر الجنسانية في هذين النصين أن تقدم مقاربة وظيفية لما يعتمل في المجتمع الغربي، قامت بتوضيحه بسلاسة مولدة أفكارا جنسانية تقوم على تقييم المجتمع اعتمادا على ما قوموه غالبية أفراده فولدت عبر أجزائها التيمية المترابطة بين الشخصيات مضمونا اجتماعيا قيميا من منظور التوازن واللاتوازن والاستقرار واللااستقرار، كما حاولت أن تبين أن الجنسانية المتولدة في أفكار الشخصيات الثلاث، والنظرة للشخصية (جرايس) هي الجنسانية المسنودة اجتماعيا، ولأن (جرايس) خالفتها تعرضت لانتقاد اجتماعي وتواترات وتجاذبات شديدة حتى داخل تفكيرها هي نفسها واستنتاجها التفكير الجنساني الذي يخص ابنها بشأنها، فالنتيجة النهائية التي نستشفها من حالة (جرايس) أنها تبقى حالة غير مقبولة وإن كان المجتمع متحررا بصورة مطلقة، وهو ما يشي بمحاولة تقليص للصورة النمطية السائدة عن المرأة الغربية ومجتمعها لدى غالبية الثقافات الأخرى؛ إذ ((يعد اختيار المبدع لموضوعاته- في الرواية مثلا- نتاجا لرؤية يحملها، وهذه الرؤية تتشكل في ثنايا إبداعه متوزعة بين الوظائف والأحداث، والصياغات المختلفة التي قد تتميز هنا بسمة ما، وتند عنها سمة أخرى هناك، ووراء كل ذلك (ثقافة) توجه أسلوب المعالجة وطرق التناول، وتحدد اتجاه الموقف، وتكشف لونا أو ألوانا من (المواقف): تعارضا أو توافقا أو هدما أو بناء)) [١٢].

وفي نص آخر تتحدث (ماكنزي) عن نفسها وعن حبها لزوجها:

((As he looked at me, though, memory began to break apart, Here and now, dressed down but standing tall, looking older and tired, Edward remained striking. I do not know what made one man my

type and another not__why only Edward s brand of tall and dark turned me on___why he had always done it when no other man could. I do not know why my pulse raced at the sight of windblown brown hair or lean hips in jeans. I did not want to feel any pull at all. But there it was…Then he hitched his chin, inviting me closer, and the spell broke. With a single shake of my head)). (١٣)

(عندما نظر إلي، رغما عني، بدأت ذاكرتي تتلاشى، هنا، والآن، إدوارد يقف طويلا مرتديا ثيابه، يبدو أكبر سنا ومتعبا، ولكنه بقي مذهلا.

لا أعرف ما الذي جعل رجلا من نوعي وآخر لا_____ لماذا ماركة إدوارد الطويلة والداكنة فقط هي التي جعلتني أتحرك_____ لماذا كان يفعل ذلك دائما عندما لم يستطع أي رجل آخر فعل ذلك، لا أعرف لماذا تسارعت نبضاتي

عند رؤية الشعر البني الذي يتطاير بفعل الرياح أو الوركين الهزيلين في الجينز، لم أكن أريد أن أشعر بأي شيء يسحبني على الإطلاق، ولكنه كان هناك... دعاني إلى الاقتراب، وانكسرت التعويذة بهزة واحدة من رأسي).

لقد أكدت الكاتبة فكرة جنسانية في هذا النص وبقيت تؤكدها باستمرار، وهي إلغاء الصورة النمطية الشائعة عن النسوية الغربية، فهي تريد أن تبني هوية جنسانية للمجتمع النسوي الغربي نادرا ما يعرف بها، فتركز عليها وتجعلها محور الأحداث التي تمر بها الشخصية بطلة الرواية (ماكنزي) وتجعلها المحور الذي تنبني عليه حياتها العاطفية جنسانيا وجنسيا، فهي تشكل جنسانيتين: الأولى تخص الشخصية البطلة (ماكنزي) التي تحدد نزعاتها البيولوجية على وفق نزعات قيمية سواء أكان ذلك بصورة مقصودة أم غير مقصودة، والجنسانية الأخرى للشخصية النسوية الثانوية (جرايس) التي تحدد نزعاتها البيولوجية على وفق نزعات لا قيمية فوضوية بتأثير عوامل اجتماعية ونفسية وثقافية غالبة، وكأن الكاتبة تريد أن تحدد أو تبرز القيم المعنوية والروحية في مجتمع مادي حسي في غالبيته.

وبالانتقال إلى رواية (النبيذة) التي تجمع فيها الكاتبة تاريخ العراق الحديث في شخصية واحدة صحافية وهي (تاج الملوك) من طفولتها إلى كهولتها وحياة الصخب الجنسي و الجنساني التي عاشتها وكيفية انتقالها بين دول الشرق والغرب حتى استقرارها في فرنسا، وفي النص المقتطع الآتي تتحدث على لسان الراوي عن (تاج) وصديقتها الشابة (وديان): **((وهي تأخذ يدها في كفها المتخشبة. تضغط عليها وكأنها تشجعها على المغامرة. تريدها أن تغادر شرنقتها وتتقرب من الرجال... لا تفهم العجوز كيف يمكن لشابة أن تمضي لياليها بدون دفاية في السرير. رجل يفوح عرقه في المكان، حتى لو ترك رائحته تحت المخدة ومضى، آخر الليل. لكن وديان لا تجد في نفسها رغبة لمضاهاة تاجي. تعيش كل منهما شخصيتها قانعة بها. والدنيا صينية بقلاوة بالدهن الحر. أقبلت إحداهما عليها بشهية واكتفت الأخرى بأن تكش عنها الذباب. صديقتان تفصل بينهما عقود من التفاوت. عمر الأولى ضعف عمر الثانية. تتعايشان على الحافة ما بين التفاهم والتنافر... نبتتان من تربتين مختلفتين وطقسين متعاكسين. فإذا هطلت الأمطار تقارب الرأسان تحت مظلة واحدة)).** (١٤)

تقدم الكاتبة بنوع من الموضوعية في الطرح النسوي نوعين من التشكيل الجنساني عبر شخصيتين أنثويتين متناقضتين جنسانيا ومتماسكتين عبر الصداقة التي تربطهما وهي صداقة تنماز بالتفرد أو التميز، فالأولى (تاج الملوك) أو (تاجي) تندفع وراء جنسانية تعبر عن وجهة نظرها وتقودها إلى مضامين جنسية منفلتة، فهي ترصد قيم حسية في مسارات خاطئة باعترافها نفسها: **((تفاصيل مغيبة أعاود الاحتفاء بها وأوقد لها أعواد البخور. أحتفي ببسالتي ولا أخجل من حقارتي. هذه أنا. أقول لنفسي إنني طبخة شرقية مصبوبة في طبق فرنسي.**

- **مستحيل... كل هذا يا مدام؟**
- **وأكثر! كنت فلتانة، بمزاجي)).** (١٥)

أما الشخصية الأخرى (وديان) تندفع وراء جنسانية مختلفة عن صديقتها، لذا تقودها إلى مضامين تعدم الجنس بالمرة فلا وجود لرصد قيم حسية على أرض الواقع في حياتها لا في مسارات خاطئة ولا صحيحة سواء أكان المجتمع منغلقا أو منفتحا، مجتمعها الأول _العربي/ العراق_ أو مجتمعها الحالي _فرنسا_ ولا وجود لدوافعه بالأصل إلا عبر الأحيلة والأحلام التي تمارسها.

١_ التوظيف الصريح:

والمقصود منه هو التوظيف الصريح للجنس وما يترتب عليه من أفكار جنسانية، ويمكن أن نبتدأ في هذا النص الذي يتحدث عن (ماكنزي) بعد أن اكتشف زوجها مكان حياتها الجديدة وبدأ يملاحقتها بسيارته بعد سنين من الغياب والإختفاء بسبب حادث ابنتها:

((I had a moment then, literally sixty seconds in which I might have changed my mind. I had been so prudent, so prudent since the accident. My life was about self-control. It was about discipline. Yes, it was about self-deprivation, and my therapist had tried to change that, to no avail. Self-deprivation felt better to me than self-indulgence. So this was out of character. I felt a flicker of hope that acting now would kill the need, but if that gave me a lofty motive, it was quickly

gone. The past was knocking as insistently as Edward s knuckle on my window, and my body ruled. He held my gloved hand as we ran through the rain and, once inside, he quickly had me backed against the door. Our mouths fused. His kiss was forceful; so was mine. I was furious to be here doing thing this, but I truly had not had a choice… He pushed my hood aside to dig his fingers into the knot of hair at my nape)).[١٦]

(لقد مررت بلحظة بعد ذلك، ستون ثانية حرفيا ربما أغير فيها رأيي. لقد كنت حكيمة للغاية، كنت حكيمة للغاية منذ وقوع الحادث، كانت حياتي تدور حول ضبط النفس والتحكم بها. نعم، كان الأم يتعلق بالحرمان الذاتي، وقد حاولت معالجة نفسي بتغيير ذلك، ولكن من دون جدوى. شعوري بالحرمان الذاتي كان أفضل من شعوري بالإنغماس في الذات؛ ولذلك كان هذا الأمر خارج إرادتي. شعرت بوميض أمل في أن التمثيل الآن سيقضي على الحاجة، لكن إذا كان ذلك قد أعطاني دافعا ساميا فإنه قد ذهب بسرعة؛ لأن الماضي كان يطرق بإلحاح مثل مفصل إدوارد على نافذتي الآن، اندفعت بجسدي، أمسك بقفاز يدي بينما كنا نركض تحت المطر...).

تكشف لنا الكاتبة عن طريق التعمق الصريح بالجنس البيولوجي الذي تهيء له الأفعال(قبلني...إلخ). مطلبا جنسانيا يتحدد بالمشاعر الأنثوية وأصالتها لدى الأنثى الغربية؛ لتعرف القارئ بحضور مفعم في المجتمع الغربي للمرأة التي تكتفي بأصالة المشاعر وتمنحها سلطة التحكم بالذات وتطويعها عن قناعات ذاتية تامة فتبقى متحفظة على رغباتها طوعا لا إكراها عندما تتعلق بنطاق الآخرين باستثناء إدوارد –زوجها– فإن آلية التحكم بالذات تتغير وتجعل منها حالة استثنائية متحولة الإرادة أمام الجوهر المعنوي الذي تريد الكاتبة إيصاله: (الوفاء/ الإخلاص)، فالأفكار الجنسانية للشخصية الأنثوية (ماكنزي كوبر) تلتمع بطبائع إيجابية أمام الجنس، بأن تتعامل معه لا بوصفه غاية بحد ذاته بل بوصفه السبب المقيد بمعنى كامن في أعماقها يبرزه تبدل أدوار (الصبر/ النهم) لديها قبل حضور (إدوارد) وبعد حضوره مرة أخرى في حياتها، فتنقلب المعادلة عبر إنجاز مهمة جنسانية مرتبطة جوهريا بفكر هذه الشخصية الأنثوية(ماكنزي) بقناعة تامة لا صعوبة تعيقها ولا عقبات، أي لا من باب المحظورات وتعديها بل من باب القناعات النفسية والإجتماعية التامة وهذه هي المفارقة، وهي قناعات تتحرر منها وتبدلها مع شخص واحد فقط هو زوجها وليس كما هي الصورة النمطية المتشكلة عنها بوصفها امرأة غربية.

وتؤكد الكاتبة الفكرة الجنسانية التي يحملها النص السابق بتعمق أكبر في هذا النص:

((That was all I wanted to do ____not think, just feel.

We pulled at clothing, hands tangling at buttons, zippers, and snaps. I am not sure we were completely undressed when he entered me, but it did not matter. I gave a sharp cry. Oh, my body was ready, but it had been nearly five years without this, and the stretching, followed by his incredible fullness was a shock. He paused only for a rough, " You okay?"

I did not answer, just grabbed the facial hair I had not known and pulled his mouth back to mine. I was hungry. I was angry. Too much lately was beyond my control, but here, now, I was taking what I wanted. He might be larger and anatomically able to lift me against the wood with each thrust, but I was the one managing hands and mouths))[١٧].

(وكل ما أردته_____ أن لا أفكر، أن أشعر فقط...

توقف عن هيجانه وقال: هل أنت بخير؟

لم أجب...كنت جائعة، كنت غاضبة، في الآونة الأخيرة كنت وراء إرادتي ولكن هنا، الآن، كنت آخذ ما أريد...).

إن النص الحالي يتعمق بصورة أكثر صراحة بالجانب الجنسي البيولوجي لصالح تبيين الجانب الجنساني وتشكلاته من أفكار ومشاعر الشخصية الأنثوية(ماكنزي)، فما يحصل من فعل يبرزه النص وهو النهم لا بسبب سلطة اجتماعية

قمعية أو جنس مقموع بل أن نظريته ترتفع بارتفاع مستوى الرغبة إلى أفكار جنسانية تقدم تأكيدا جديدا للأفكار الجنسانية التي مرت في النص السابق، وتقننها للأنثى نفسها عبر تحويل

الطاقة البيولوجية (الجنس) إلى طاقة مرتبطة بالشعور والأفكار(جنسانية) محددة بصفات الـ (الإكتفاء/ الإخلاص/ الوفاء) لدى الشخصية بوصفها فردا حاضرا في تشكيلة مجتمع_غربي_ بأكمله عبر نسويته وماهيتها المنمطة في غالبيتها بسبب ما يمتلكه هذا المجتمع من حرية تسقط بصورة كبيرة حضور الممنوع والرقابة، الأمر الذي يجعل التضمينات الجنسانية في هذا النص (مع كل ما يمتلك من صراحة) مليئة بالتصور النسوي وأفكاره التي يراد منها أن تطرح بصورة إيجابية مقيدة من دواخل الشخصية وليس من المجتمع على الرغم من تحرره، والمقصود بالصورة الإيجابية هي الصورة المقننة وليست الصورة غير المقننة؛ إذ إن ما يتلخص عن الصورة النمطية التي تكنها بعض الثقافات عن الثقافة الغربية من خلال الرؤية للمرأة الغربية، أن المرأة الغربية ((عالم خاص يؤدي الاقتراب منه إلى التخلص من الكبت وبلوغ عالم التحرر على وفق البنى العرفية والبنى الاجتماعية)). [١٨]، إلا أن هذه النظرة غير صحيحة وتم تكوين تصور نمطي عليها بناء على النسبة المئوية العالية من التحرر التي يحملها المجتمع، ولكن ذلك لا يعني أن المرأة الغربية هكذا، فهي مثلها مثل بقية الثقافات والمجتمعات، والفرق الوحيد يكمن أن في مجتمعها كل شيء فيه يتم بصورة علنية مكشوفة أما في المجتمعات الأخرى يتم بصورة متسترة وهذا هو جوهر الاختلاف فقط.

وعند الانتقال إلى رواية (النبيذة) تطالعنا جنسانية محملة بأجواء المجتمع الشرقي، فنظرته الجنسانية تستمد طاقاتها من طاقة الكبت التي تخيم على المجتمع: **((مدت لي تاجي كتابا مصورا عن الفنان أكرم شكري، مفتوحا على رسم لامرأة عارية...**

- **هذه أنا في اللوحة. أحببت أكرم، وأهديته نفسي.**
- **شلون يعني؟**
- **نزعت ثيابي ليرسمني كما شاء.**

ترفع تاجي الكلفة مع أسماء مبجلة لدى جيلي. تقول " أكرم" حاف. كأنها كانت تنط على الحبل مع الرسام الرائد في أزقة شارع غازي... بحثت عن ملامحها فيها. الوجه مموه. وأفعى ملتوية تغطي مثلث برمودا. لوحة بديعة لجسد مسترخ ومكشوف)). (١٩)

وفي نص تأكيدي آخر على لسان (وديان): **((أفهم كيف يسمو العري الجميل فوق الابتذال أتردد على اللوفر وأرى فيه من الأجساد المكشوفة ما لم أجده في الحياة ولا حتى في السينما. عضلات قوية منحوتة في الحجر والمرمر. نهود مترعة تتدفق من النافورات.تماثيل لأطفال بمشاعل تتوسط الجسور، تتبول على المارة من أعضاء رخامية بارزة.**

كنت أمر بها وأشيح بوجهي. أتعثر في مشيتي وأنا أخطف نظرات منها. ثم اعتدتها ولم تعد تصدمني. لكنني لما وقفت أمام لوحة أصل العالم في متحف أورساي، دفعتني المفاجأة عدة خطوات إلى الوراء. كدت أجري للخروج من القاعة. وضعت عيني في الأرض بعد النظرة الأولى. سحبت نفسا عميقا. جففت عرقي وعاودت التطلع. فضولي يسمرني في مكاني. كأن الموديل العارية تملك في مفترج فخذيها ما لا أملك)). (٢٠)

يحاول النصان المقتطعان من الرواية ربط الفكرة بكيفيات جنسانية مغايرة لبعضها: بين لوحة (تاج الملوك) وبين لوحة (نهاية العالم) أو التماثيل بصورها الحسية، ولكن الجنسانية هنا تشير إلى أنماط سلوكية بين ممارسة التكيف على الاعتدال: (اعتدت عليها) وممارسة التكيف على الكبت: (كأنني لا أملك...)، وبين الشكل الطبيعي للرغبة وبين الماهية الجنسية البحتة المكبوتة عبر وصف الأعضاء المحددة _ موضع التفكير الجنساني وتحولاته_ واشتغال هذه الأفكار الجنسانية عليها على وفق القيمة التي يحددها المجتمع لدى الشخصية نفسها (وديان)، فيبدو أن هناك مغزى يوضح الربط بين لوحة(تاج) ولوحة (نهاية العالم) من بابين :

١/ أن الفكر الجنساني الصارم المغلف بطابع أبوي هو الذي كون الفكر الجنساني غير المتحفظ لدى (تاج) في طرح جسدها مادة لتقليد اللوحة.

٢/ أن الدينامية الجنسانية وتحولاتها بين اللوحتين الأصل والفرع هما من كونا صدمة بصورة متتالية على الشخصية (وديان) وتكوين أفكارها الجنسانية المستخلصة، ففي الوقت الذي تأقلمت فيه مع رؤية التماثيل واللوحة الأصل وتلاشت صدمتها الأولى، عادت لتنصدم برؤية لوحة (تاج)، مشكلة في ذاتها فعل الرغبة وفعل الرفض معا من دون تمييز بين عنصري الفعلين أو تفكيكهما بسبب طبيعة نشأتها التي فرضتها عليها طبيعة مجتمعها الأول.

٢_التوظيف غير الصريح:

وهذا التوظيف يشبه في نصوصه الأفكار الجنسانية التي مرت في المرحلة الأولى (التوظيف الأول) إلا أن الفرق يكمن في أن النصوص في هذه المرحلة تخلو من الجنس البيولوجي الصريح وتوظفه هذه المرة بشكل غير مباشر وغير صريح، ومنها النص الآتي الذي يتحدث عن عودة (ماكنزي) إلى رفض (إدوارد) مرة أخرى واتخاذ قرار بالابتعاد:

((" What we were " Edward said, sounding wounded, " as far more than sex."

I shrugged. Fair was fair. I that retaliatory instant, I wanted to hurt him for the way his letting me go had hurt me.

" Do you really think that is all we had?" he asked and made a face, like I was an alien being. " Who are you? " " Who are you?" I shot back

He did not move for an instant____did not speak, did not breathe)). (٢١):

(قال إدوار وقد بدى مجروحا : ما كنا عليه، ما كان بيننا أكثر من جنس رددت عليه مستهجنة : كان ذلك عادلا ومنصفا.

في تلك اللحظة الانتقامية أردت أن أؤذيه ليدعني أذهب، فسألني إدوارد ووجهه كما لو كان كائنا فضائيا: هل تعتقدين حقا أن هذا كل ما لدينا؟

فعدت وصرخت بوجهه: من أنت؟ من أنت؟

لم يتحرك للحظة____لم يتكلم، لم يتنفس..).

في النص يبدأ استجلاء مفاهيم تتكافأ مع المفاهيم الجنسانية التي تحملها الشخصية الأنثوية (ماكنزي)، واستجلاء هذه المفاهيم تم عن طريق الاستفهامات من الطرفين من الحوار وكذلك من الصمت الذي تم بوصفه رد فعل من (إدوارد) عبر حضر للجنس بصورة غير مباشرة.

وكذلك في النص الآتي:

((Morning arrived. After sleeping alone for more than four years, I should have felt a visceral alarm at the smell of a man in my bed. But my familiarity with Edward was so ingrained that from the first moment of awareness, I thought nothing of the soft snoring just above my forehead. We had not moved much during the night. My cheek was on his shoulder now, but the whole front of me hugged his side, and our legs remained entwined.

I did not move at first. Having another beating heart with me was precious. With the forest sky starting to brighten)). [٢٢]

(مع وصول الصباح، وبعد أن كنت أنام بمفردي لأكثر من أربع سنوات، كان من المفترض أن أشعر بقلق... ولكن معرفتي بإدوارد كانت متأصلة للغاية لدرجة أنني منذ اللحظة الأولى لوعيي لم أفكر في الشخير الناعم فوق جبهتي، لم نتحرك كثيرا خلال الليل، خدي على كتفه، وبكل أمامي احتضنت جانبه... كان وجود قلب آخر ينبض معي ثمينا مع سماء الغابة التي بدأت تشرق).

لقد استحضر النص الجنسانية عبر الإحساسات المعنوية لا المادية (الجنس) أي بتصور معنوي إيجابي يضاف إلى كل ما قبلها من النصوص وبتراكم جنساني موحد في المدلول ولكن هذه المرة عبر وصف الحالة المعنوية/ الروحية المتغلغلة في النص وهي تفصل بين سلطة المادة وسلطة الروح وأهمية السلطة الثانية على الأولى، فهي وإن تخلصت من السيطرة المطلقة للسلطة الأولى إلا أن هذا الخلاص جاء عن طريق تشذيبها ومن ثم احتوائها في السلطة الثانية فجاءت النتيجة بالعنصر القيمي والروحي الذي يقضي على هشاشة ما هو شائع عن الأنثوية الغربية ونفي لنظرية الرغبة الفوضوية مقابل إثبات للرغبة المقننة بقيم روحية متأصلة.

ويحضر التوظيف غير الصريح في الرواية الأخرى أيضا في هذا النص على لسان (تاجي) في حوارها مع (وديان): **((نأتي إلى الدنيا لكي نقابل "حب العمر" ، نعثر عليه فنعبث ببهائه. نخربه بحماقة ونفتح له كوة التسرب. لماذا لا يكون في العمر قصتان بالعمق نفسه، أو ثلاث قصص؟ ...**

- **أين هو اليوم؟**
- **من؟**
- **حبيبك الفلسطيني؟**
- **أدفع ما تبقى من عمري لأعرف)).** (٢٣)

وتوظف الكاتبة الأفكار الجنسانية بمسار التوظيف المعنوي وغير المباشر، فعلى الرغم من تحرر (تاج) المطلق إلا أنها لا تهمل القيمة الروحية التي تقننه، فالنص يبرز الأفكار الجنسانية

التي تبتعد عن الحاجة إلى الجنس وتقترب من الحاجة المعنوية والروحية التي تتكئ عليها الحاجة الحسية الجنسية، وفي ذلك ما لا يغفل عن العواطف السامية التي تقنن الحاجة الحسية، وهو ما يختزل المعنى القيمي المعنوي في حده الأدنى أساسا للمعنى الحسي على الرغم من طبيعة الشخصية عبر ما نستخلصه من تناسيها أو صرفها للنظر عن حبها الأساس والإنعطاف عنه إلى مسيرة حياة حسية صاخبة.

٣_التوظيف ذو الطابع المتصل بالأديان:

الذي يقصد منه هو الأفكار الجنسانية في تصوراتها عن الجنس الذي رسمته الأديان بأنواعه المباحة وغير المباحة وما يترتب على ذلك من النتائج الاجتماعية. ويمكن رصد هذا التوظيف في الحديث عن المثلية الجنسية في الرواية الأميركية في هذا النص الذي يحمل التصورات الجنسانية لـ (ماكنزي):

((I could not belive that in this day and age his parents did not know he was gay. Then I thought of my own parents and realized how it might be. Parents could be narrow-minded when it came to dreams for their kids))[٢٤].

(لا أستطيع التصديق في هذا اليوم وفي هذا العصر أن والديه لا يعرفان أنه مثلي، ثم فكرت في والديه وأدركت كيف يكون الأمر، يمكن أن يكون الأمر في أن الوالدين ضيقا الأفق عندما تتعلق المسألة بأحلام أطفالهم).

تقوم الجنسانية الأنثوية في أفكار (ماكنزي) على عرض العلاقة بين الدين/ الجنس المثلي والإنعكاس الاجتماعي المتأتي من هذه العلاقة وهو ما يدل عليه عدم معرفة الوالدين بمثلية ولدهما، فمعنى عدم معرفتهما يشير إلى النمط المؤسلب ويشير إلى الرفض والمنع المجتمعي الغالب مما يجعل الشخصية (ولدهما) تنتج انفصالا جنسانيا (بالمشاعر والرغبات) عن جنسانية الوالدين وغالبية المجتمع، فيتخذ النمط الشاذ للحد من هذا الانفصال، وقد كان استنتاج ذلك

عبر أفكار الجنسانية التي تقترب من الحالة وتبررها بضيق الأفق وما يناقضها من العصر المعيش وتبتعد عن الحالة بضرورة وحتمية معرفة الوالدين. وتتكرر الجنسانية في تصوراتها عن المثلية في النصين الآتيين كذلك:

((Jimmy said... "There is our local homophobe. It drives him crazy when I do that"))[٢٥].

(قال جيمي: ... لدينا رهاب المثلية المحلية، إن ذلك يدفعه إلى الجنون عندما أقوم به).

((..."but that sounded suspiciously like a homophobic remark.Is that your problem?"...

No, I am not homophobic. I have gay best friends and gay business partners."))[٢٦]

(لكن ذلك بدا مريبا وكأنه ملحوظة معادية للمثليين، هل هذه مشكلتك؟ بجدية اللجوء إلى ذلك؟ ...لا، أنا لست ممن لديهم رهاب المثلية، لدي أصدقاء وشركاء مثليون).

إن هذين النصان يشكلان تأكيدا لما سبقهما من نص عبر إفراز فكرة جنسانية في الكتابة النسوية وعبر تقديم الشخصية الأنثوية للهوموفوبيا_رهاب المثلية_ في إشارة إلى الدين أيضا؛ إذ ((قد يكون الدين أحد الأسباب المؤدية لرهاب المثلية الجنسية، فأغلب تعاليم الأديان ترفض الانجذاب إلى المثليين وتعتبره{هكذا} أمرا غير أخلاقي أو خطيئة، وهو ما يتحول مع الزمن إلى مفهوم ثقافي يصعب تغييره))[٢٧]، وهو ما يشكل بكل تأكيد علامات اجتماعية فارقة تثبتها الجنسانية التي نستشف انشطارها في النصوص إلى معنيين:

- معنى جنساني في أن (الشذوذ المثلي) غير قابل للتطبيق أو صعب التطبيق وإن كان المجتمع متحررا، مما يحيي حضورا للقيم الدينية وما يترتب عليها من القيم الاجتماعية التي لا مناص

من التحرر منها، وأن لها وجودا مترسخا في المجتمع مهما كان مستوى تحرره وأشواط ذلك التحرر التي قطعها.

- ومعنى جنساني آخر في أن الشذوذ المثلي قابل للتطبيق، وأن له أبعادا نظرية متمحورة حول تقبل المختلف وسير الحياة بصورة طبيعية إلى جواره وعدم التدخل في خصوصيات الآخر وإن لم يتم استساغتها، وهو جزء تقني من تقنيات الوجود المجتمعي المتناسق على الرغم من اختلاف شرائحه دينيا وقيميا ونفسيا... إلخ. مما جعل الجنسانية

الأنثوية هنا تقوم بالتعبير عن محتويات المجتمع ومجرى هذه المحتويات بصورة موضوعية تعرض ما هو واقعي تبين فيه ماهية المجتمع المتحرر وتسلسل مكوناته وإقامة المعنى التشخيصي له ككل.

ويحضر التوظيف نفسه في الرواية العراقية في حديث الراوي عن إقامة (تاج) وأسرتها ببغداد وتحديدا بمدينة الكاظمية في مراهقتها: **((في قرى الشمال، لم تكن قد رأت كردية تلبس السواد. انقبض قلبها، في البداية، من لابسات العباءات، وخافت من أصحاب العمائم السود. ثم اعتادت المكان الجديد وتآلفت مع ضجيج المدينة. خالطت الجارات وأحبت أحاديثهن وأسرارهن. الرجل غائب لكنه محور الكلام. المعشوق الأبدي. البشارة والرزق والرضا ونوم العوافي. له تزجج الحواجب. تبيض الخدود بحجر السبداج. تدهن الشفاه بخشب الديرم. تنتف السيقان بالشيرة. وله تطبخ الطيور المسمنة والأسماك المشوية في التنور، ويقشر الرمان ويفصفص. لكن تاجي، بخلاف بقية البنات، كرهت العباءة، وساءت علاقتها مع والدتها. هل كان ذلك أصل المشكلة، أم ما لاحظته الأم من نظرات زوجها للصبية التي شبت؟))** [٢٨].

يرتبط النص بالجنسانية التي تحيل إلى أفكار دينية وينتهي بتساؤل يشرك الأفكار الدينية فيه أيضا، فـ : (العمامات السود/ العباءات السوداء/ الرجل الغائب لكنه محور الكلام) جميعها سياقات اجتماعية دينية، تتغذى الجنسانية عليها مما يحيل إلى الدور الديني الذي يشكله الأشخاص على القياس الاجتماعي ونمطه المحدد، فالدور الديني بحضور (العمائم السود) يحتم لبس العباءات

السوداء ويحتم عدم الاختلاط الأنثوي والذكوري ولكن مع ذلك فإن الرجل يبقى محور الكلام في المجتمع الأنثوي ولا سيما عبر تفعيل مجموعة من السياقات لصالح بقائه محور الكلام؛ إذ إن الجنسانية الأنثوية تقوم بتفعيل مجموعة من العناصر عبر السياقات المحملة بالأفعال: (تزجج/ تبيض/ تدهن/ تنتف/ تطبخ/ يقشر/ يفصفص)، والسياقات المحملة بالأسماء: (المعشوق الأبدي/ البشارة والرزق والرضا ونوم العوافي)، مما يطبع الجنسانية بالعناصر الساكنة والمتحركة: القول والفعل الذي يضفي عليها بدوره القوة في الثباتية والتطور معا، ولكن الربط الديني هنا جاء بوصفه ذريعة للأفكار الجنسانية لشخصية (الأم) تجاه ابنتها.

الخاتمة:

إن أبرز ما توصلنا إليه من نتائج في هذه الدراسة هو التحول النوعي في الهيمنة الجنسانية لكتابة الروائيتين مع المحافظة بصورة نسبية على الهيمنة الذكورية وتمرير المعنى المراد عبرها بصورة المسكوت عنه الذي يحتكم لما هو سائد من الأعراف الاجتماعية والثقافية.

المصادر والمراجع

الروايتان:

- النبيذة، إنعام كجه جي، دار الجديد، بيروت ، ٢٠١٧م.

- Before and Again sometimes life delivers a second chance...- Barbara Delinsky- ST. Marti s paperbacks- London-2018.

الكتب:

- تاريخ الجنسانية/ ج ١ إرادة العرفان، ميشال فوكو، تر: محمد هشام، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء_ المغرب، (د، ط)، ٢٠٠٤م.

- تاريخ الجنسانية/ ج٢ استعمال المتع، ميشال فوكو، تر: محمد هشام، أفريقيا الشرق، الدار البيـضاء_ المغرب، (د، ط)، ٢٠٠٤م.
- تاريخ الجنسانية/ ج٣ الانشغال بالذات، ميشال فوكو، تر: محمد هشام، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء_ المغرب، (د، ط)، ٢٠٠٤م.
- سوسيولوجيا الجنسانية العربيــة، د. عبـد الصمد الديالمي، دار الطليعة للطبـاعة والنشر، بيروت_ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
- الصورولوجيا في الرواية/ دراسة مقارنة بين روايتين عربيتين وروايتين أميركيتين معاصرتين، د. أسماء يوسف ديان، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان_ الأردن، ط١، ٢٠٢٢م.(رسالة ماجستير منشورة).
- علم اجتماع الأدب، الأستاذ الدكتور محمد سعيد فرح/ الأستاذ الدكتور مصطفى خلف عبد الجواد، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان_ الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.
- علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، أنتوني غدنز، تر: الدكتور فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، عمان_الأردن، ط٤، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت_ لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
- مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية/ قراءة في سفر التكوين النسائي، الأستاذ الدكتور حفناوي بعلي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة_ الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت_لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
- النسوية/ قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، د. رياض القرشي، دار حضرموت للدراسات والنشر، حضرموت_ الجمهورية اليمنية، ط١، ٢٠٠٨م.

مواقع الإنترنت:

- الجنسانية.. المفهوم والأثر، بسام حسن المسلماني، لها أون لاين، أبريل ٢٠١٥م.
- رهاب المثلية ما هو؟ ، أحمد علي، Rozana Radio.fm3 يونيو ٢٠٢١م.

هوامش البحث:

(١) تاريخ الجنسانية/ ج ١ إرادة العرفان، ميشال فوكو، تر: محمد هشام: ١٦.

(٢) ينظر: تاريخ الجنسانية/ ج٢ استعمال المتع، ميشال فوكو، تر: محمد هشام: ٢٣٣.

(٣) تاريخ الجنسانية/ ج٣ الانشغال بالذات، ميشال فوكو، تر: محمد هشام: ٧٣.

(٤) الجنسانية.. المفهوم والأثر، بسام حسن المسلماني، ٢٨أبريل ٢٠١٥، لها أون لاين (موقع إنترنت).

(٥) علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، أنتوني غدنز، تر: الدكتور فايز الصياغ: ١٨٨.

(٦) ينظر: الجنسانية.. المفهوم والأثر، بسام حسن المسلماني، ٢٨أبريل ٢٠١٥، لها أون لاين (موقع إنترنت).

(٧) ينظر: سوسيولوجيا الجنسانية العربيــة، د. عبــد الصمد الديالمي: ١٥.

(٨) مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية/ قراءة في سفر التكوين النسائي، الأستاذ الدكتور حفناوي بعلي: ٥٣.

(٩) علم اجتماع الأدب، الأستاذ الدكتور محمد سعيد فرح/ الأستاذ الدكتور مصطفى خلف عبد الجواد: ٥١.

([10]) Before and Again, Barbara Delinsky:100.

([11]) Before and Again: 198.

(١٢) النسوية/ قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، د. رياض القرشي: ٣٢.

([13]) Before and Again:105.

(١٤) النبيذة، إنعام كجه جي: ١٨.

(١٥) النبيذة: ٢٧/٢٦.

([16]) Before and Again:149.

([17]) Before and Again: 150.

(١٨) الصورولوجيا في الرواية/ دراسة مقارنة بين روايتين عربيتين وروايتين أميركيتين معاصرتين، د. أسماء يوسف ديان: ١٩٠.(رسالة ماجستير منشورة).

(١٩) النبيذة: ٤٠/٤١.

(٢٠) النبيذة: ٤١ .

([21]) Before and Again: 187.

([22])Before and Again: 300.

(٢٣)النبيذة: ٤٣/ ٤٤.

([24]) Before and Again: 62.

([25])Before and Again: 64.

([26])Before and Again: 244.

([٢٧]) رهاب المثلية ما هو؟ ، أحمد علي، Rozana Radio.fm ٣يونيو ٢٠٢١ (موقع إلكتروني).

(٢٨)النبيذة: ٤٦/ ٤٧.